٣٤

## شخصيات من الحرمين الشريفين

# الصحابي حجر بن عدي رضوان الله عليه

■ حسن محمد

تمهيدٌ:

كم هو جميل أن نسمع أو نقرأ ما يَحكي لنا حياةَ عظماء سجّلوا إنجازات علمية، و مواقف إنسـانية وأخلاقية، وأخرى اجتماعية وتاريخية مذهلة، لطالما استفادت البشـرية منها، و على قِمّتهم الأنبياءُ والعلماءُ والصالحون والشهداءُ، الذين ألهموا البشـريةَ العطاءَ والكرامة والخير والسلام.. وكم هـو تعيسٌ أن نسـمع أو نقرأ عن فئـة من الناس قلّما ألفـت الخيرَ أو لم تألفه في حياتها؛ بل صار انتهاك الحرمات، وسفك الدماء، وكبت الأنفاس، ومحاربة الآراء وقمع أصحابها منهجاً سلكوه، وطبعاً ألفوه، وسلوكاً لاذوا به، وهم الطغاة والمسـتبدون، والظلمة وأعوانهم، والإرهابيون السفاحون ومرتكبو المجازر، الذين لم يُبقوا شيئاً أوحرمةً إلا وانتهكوها، فقتلوا الناس، وتركوا أشـلاءهم مبعثرةً هنا وهناك، ولا أنسى أصحاب الدعوات الضالة والأهواء، الذين أضرموا نيران جهلهم في حياتنا، فمزّقوا عقائدنا كما مزّق أولئك أبداننا، فهم ليسوا بأقلَ شرّاً منهم، فكلهم عاثوا فساداً في ساحاتنا.. صحيح أنّ البشرية على مدى تاريخها عرفت الشرَّ بكلِّ صوره وأشكاله، لكنها تُفاجأ أحياناً بأمثلة هي الأكثر سـوءاً وقسوةً، تجعلها تتوقف عندها طويلاً بفعل الصدمة التي تعتريها، وكيف لاتُصدم، وهي تواجه يومياً نماذجَ بشـرية قذرة صارخة تحكي قبحَ آدميتهم حتى حوّلتهم إلى وحوش بشعة ضارية تضرب هنا وهناك، وتتخفّى وراء ملامح بشـرية، وقد تجسّـدت عداءً وحقداً على الأبرياء وأمنهم وسلامهم؟!

إنّ الإرهاب الذي عانت منه شعوب عديدة، لا عقل له ولا دين له ولا وطن، والذي تقوم به دولٌ تدّعي زوراً وبهتاناً أنها إسلامية، وجماعاتٌ تزعم أنها تنطلق من مقدمات دينية، فقد لجأت كما اعترفت بذلك منشوراتُهم وكتبُهم إلى آلية القياس والتأويل للآيات القرآنية والأحاديث والمواقف النبوية، ولكنه القياس الخاطئ والتأويل المنحرف، وصارت تتعبّد بما جمّلته لهم عقولُهم وأهواؤهم، بعيداً عن أهداف الدِّين ومقاصده النبيلة، وجعلت أساسها الذي تَبني عليه مشروعَها الدمويّ هو تكفير المجتمعات أفراداً وشعوباً ومؤسسات؛ وحتى ينطلقوا من هذا كلّه لإضفاء المشروعية لعملهم الوحشي، وهي مشروعية قطعاً كاذبة تتنافا مع قيم السماء والدّين الذي جاء رحمةً للناس لا نقمة عليهم.. وفي علمي أنّ الإرهاب لا يمكن أن ينتهي مادامت منابعُه قائمةً: تغييب القيم والمبادئ، والنبش في التراث غير المنقّى، والفتاوى المعلّبة لرجال نسبوا أنفسهم للدِّين، وقد ملأ الحقدُ قلوبَهم والبغضاءُ صدورَهم، فغدت تبيح قتل المسلمين وغيرهم، واستحلال أموالهم ومقدساتهم، وكذا الإعلام والأموال، وغالباً ما توفرها دول ظالمة مستبدة ترى مصلحتها في ترويجه، تُسخّرالإرهابيين لتحقيق أهدافها، حتى وإن أدّى إلى إفساد الحرث والنسل، وحصد أرواح الأبرياء، وإذا انتهت مهمتهم، انقضّ كلٌّ منهما على الآخر،.. إنَّ هؤلاء القتلة سواء أكانوا حكاماً أو رجال دين أو منظمات لم ينجو من جرائمهم وإرهابهم طفلٌ أو امرأةٌ أو شيخٌ، بل ولم ينجو منهم حتى الموتى في قبورهم، وما العمل القذر في نبش قبر الصحابي الجليل حُجر بن عديّ، ومن قبل عبثوا بضريحي الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء ـ العراق، إلا واحداً من الأدلة على خستهم وضآلتهم، فالذين لا يتورّعون عن قتل الأحياء الأبرياء أطفالاً ونساءً ورجالاً، أيُطلب منهم أن يتورّعوا عن تهديم

الأضرحة ونبش قبورها والعبث برفاتها..؟!

وقد رأيت كجزء من الوفاء لهذا الصحابي الجليل حُجر بن عدي أن أُقدم شيئاً عن حياته المباركة، فهي صورة رائعة من سيرة شهداء الفضيلة، رسمتها أناملُه حتى تكون مثالاً للمؤمنين الصالحين والمجاهدين الثابتين، بعد أن عانا من الحكام الظلمة الطغاة في حياته، ولم ترحمه يدُ الإرهاب، التي امتدّت لتعبث في قبره!

ويقيني أنّ المسلمين لا فقط متألمون لما حصل من انتهاكٍ لهذا الضريح، في منطقة «مرج عذرا» التي تبعد ٣٠ كيلومتراً تقريباً عن دمشق من قبل عصابة إرهابية، بل لما يحصل من احتقانٍ طائفيٍّ خطير، يترك ـ والعياذ بالله ـ تداعياته وآثاره الوخيمةَ على البلاد والعباد، وعندها يكون الجميع خاسراً، ووقوفه بين يدي الله طويلاً!

* * *

فحُجر بن عدي هو كنديٌّ كوفيٌّ، بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن ثور، وهو كندة (وفي جمهرة أنساب العرب: ٤٢٦ بن مرتع بن معاوية بن كندة) بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عُريب بن زيد بن كهلان بن سبإ، وسمي أبوه الأدبر؛ لأنه طعن مولياً فسمي الأدبر.

كنيتُه أبو عبد الرحمن الكندي. ويُعرف بحجر الخير.[١]

---

١ . أنظر مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٦ : ٢٣٥ والهامش، رقم الترجمة: ١٤٣؛ الطبقات

وحجر هذا صحابيٌّ جليلٌ، وصفه الإمام الحسين عليه السلام بأنه من «العابدين المخبتين». رسمت معالمَه مدرسةُ الصحبة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله وهي من أرقى وأفضل مدارس الدنيا منهجاً ومضموناً، فصياغةٌ لطلابها المنتجبين، وإعداداً لهم روحيّاً وإيمانيّاً وأخلاقيّاً..، فكانوا بحقٍّ دعاةً صادقين إلى الله تعالى، فمنذ أن أسلموا وآمنوا، لم يغيّروا ولم يبدّلوا، ودون أن ينقضوا عهدهم حتى لقوا ربَّهم.

وقد حظي هذا الصحابي بهذه المدرسة بعد أن دخل المدينة المنورة برفقة أخيه الأكبر هاني بن عدي وافداً على رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر حياته المباركة، وأسلم وهو مازال صغيراً، فصدق عليه أنه كان من صغار الصحابة لا من كبارهم، ومع ذلك كان بحقٍّ من فضلاء الصحابة بل من أفاضلهم.. فقد كان واحداً من النخبة الطيبة الصادقة لهذه المدرسة، فرغم قصر الفترة الزمنية التي قضاها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ورغم صغر سنّه، إلا أنه استطاع بتوفيقٍ من الله وتسديد أن يتفاعل مع مبادئ هذه المدرسة الخالدة بسرعة، ويستوعب قيمها، ويتمثلها في حياته.

ففي أسد الغابة: وكان من فضلاء الصحابة، وكان مجاب الدعوة.

وقال عنه الحاكم في المستدرك: وهو راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله.

ويكفي في منزلته العالية والرفيعة اعتراف العامة بفضله، مع معرفتهم بكونه من أصحاب أمير المؤمنين الإمام عليٍّ عليه السلام.[٢]

فكم كانت تربيتُك يا رسول الله! لهذه الطائفة الطيبة مجديّةً نافعةً خالدةً! وكم كان حبّهم لك عظيماً صادقاً شهد به أبو سفيان وهو يعيش

---

الكبرى : ١١٥٨؛ البداية والنهاية، لابن كثير ٨ : ٥٨، في من توفي سنة إحدى وخمسين.

٢ . أسد الغابة ١ : ٣٨٥ ؛ المستدرك ٣ : ٤٦٨.

العداء كلّه لرسـول الله ﷺ ولدينه ولمن معه: «ما رأيتُ من الناس أحداً يحبّ أحداً كما يحبّ أصحابُ محمدٍ محمداً»!

من مواقفه:

لقد سـجل لنا التاريخ مواقف عديدة لهذا الصحابي الجليل، كان منها:

* اعتراضه على الخليفة الثالث عثمان بن عفان:

اعتراضه على الخليفة الثالث عثمان بن عفان، و نصحه له بالكف عن أفعالٍ ظهرت في خلافته سـواء منه أو مـن عماله.. وكلها تتصف بالمخالفة لتعاليم الدين الحنيف، لم يشإ السكوت عنها.

«وكان حجر بن عدي فيما رواه أبو مخنف من جملة الذين كتبوا إلى عـثمان من رجال أهل الكوفة ونسـاكهم وذوي بأسـهم، ينقمون عليه أموراً، وينصحونه وينهونه عنها وكانوا اثني عشر رجلاً».[٣]

فقد كتـب إلى عثمان جماعة من أهل الكوفة منهم حجر حول واليه على الكوفة، سـعيد بن العاص، رسالة جاء فيها: «إنّ سعيداً كثر على قوم مـن أهل الورع والفضل والعفاف، فحملك في أمرهم ما لا يحل في دين ولا يحسن في سماع، وإنا نذكرك الله في أمّة محمدﷺ، فقد خفنا أن يكون فساد أمرهم على يديك، لأنـك قد حملت بني أبيك على رقابهم، واعلم أنّ لـك ناصراً ظالماً، وناقماً عليك مظلومـاً، فمتى نصرك الـظـالـم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان، واختلفت الكلمة، ونحن نشـهد عليك الله وكفى به شـهيداً، فإنك أميرنا ما أطعت الله واسـتقمت، ولن تجد دون الله ملتحداً ولا عنه منتقذاً».[٤]

---

٣ . أعيان الشيعة ٤ : ٥٨٥.

٤ . كتاب الغدير، للشيخ الأميني ٩ : ٤٧.

* موقفه مع أبي ذر الغفاري:

خرج أبو ذر بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية، فنفاه وأسكنه الربذة، حين استنكر عليه وعلى ولاته أعمالهم، لكونها تتعارض وأحكام الشريعة، حتى توفي فيها رضوان الله تعالى عليه.

وكان حجر ممن شهد وفاته، بعد أن نفاه إليها الخليفة الثالث عثمان. وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال عن موت أبي ذر: «إنه يشهد موته عصابة من المؤمنين»، وكان حجر من المؤمنين الذين شهدوا موته في الربذة. وهذا القول يدل على مدح حجر، وأنه من المؤمنين بشهادة الرسول صلى الله عليه وآله.

ففي الاستيعاب: «ثم خرج ـ أبوذر ـ بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية، فنفاه وأسكنه الربذة، فمات بها، وصلى عليه عبدالله بن مسعود، صادفه وهو مقبل من الكوفة مع نفر من فضلاء أصحابه، منهم حجربن الأدبر، ومالك بن الحرث الأشتر، وفتى من الأنصار، دعتهم امرأته إليه، فشهدوا موته، وغمضوا عينيه وغسلوه وكفنوه في ثياب للأنصاري، في خبر عجيب حسن فيه طول».

وفي الإصابة: «وروى ابن السكن وغيره من طريق إبراهيم بن الأشتر عن أبيه أنه شهد هو وحجر بن الأدبر موت أبي ذر في الربذة».[٥]

* ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام:

عرف هذا الصحابي بولائه الصادق لأهل البيت عليهم السلام، مبتدئاً ذلك بتمسكه بولاية إمام المتقين عليّ عليه السلام، فقد كان

---

٥. أنظر في هذا الاستيعاب ١: ٢١٥؛ و الإصابة ١ : ٣١٤.

من المبايعين له بالخلافة.. ومن المشاركين في معارك الجمل وصفين والنهروان. وولاؤه ودوره في خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام، اللذان يرى فيهما تكليفاً شرعياً وفلاحاً في الدنيا وفوزاً بالجنة، كانا السبب في قتله باعتراف كلٍّ من أرخ لحياته رضوان الله عليه.

* ففي معركة الجمل:

كانت له خطبة عقّب فيها على خطبة الإمام الحسن عليه السلام في الكوفة استعداداً لمعركة الجمل، قال فيها:

«أيها الناس هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو من عرفتم، أحدُ أبويه النبيُّ الأمّيُّ ﷺ والآخرُ الإمامُ الرضيُّ المأمونُ الوصيُّ، وهو أحدُ اللذين ليس لهما في الإسلام شبيهٌ، سيدي شباب أهل الجنّة، وسيدي سادات العرب، أكملُهم صلاحاً، وأفضلُهم علماً وعملاً، وهو رسولُ أبيه إليكم، يدعوكم إلى الحقِّ، ويسألكم النصرَ، فالسعيدُ مَن ودَّهم ونصرَهم، والشقيُّ مَن تخلّفَ عنهم بنفسه عن مُواساتهم، فانفروا معه رحمكم الله خِفافاً وثقالاً، واحتسبوا في ذلك الأجرَ، فإنَّ الله لا يُضيع أجرَ المحسنين».

وله كلام آخر يستنفر الناس به: «أيّها الناس أجيبوا أميرَ المؤمنين، وانفروا خِفافاً وثقالاً مُروا أنا أوّلُكم»!

فأجاب الناس كلُهم بالسمع والطاعة.

واختاره الإمامُ عليه السلام في معركة الجمل أميراً على خيل كندة، وقد استبسل يومها، وراح يرتجز:

سلّم لنا المهذبَ التقيا ... يا ربَّنا سلّم لنا عليا

واجعله هادي أمة مهديا ... المؤمن المسترشد الرضيا

لا خطـل الـرأي ولا غبيا احفظه ربّ حفظك النبيا
ثم ارتضـاه بعـده وصيا فإنـه كان لنـا وليـا

* وفي معركة صفين:

كان هو وعمـرو بن الحمق الخزاعي مندفعين متحمسـين فيها، وراحا يظهران البراءة واللعن من أهل الشـام، فأرسل إليهما الإمام عليٌّ عليه السـلام: أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسـنا محقّين؟ قال: بلى. [قالا: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى]. قالا: فلِمَ منعتنا من شتمهم؟

قال: «كرهتُ لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين، تشتمون وتتبرءُون. ولكن لـو وصفتم مسـاوىء أعمالهم، فقلتُم: من سـيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كـذا وكذا، كان أصوبَ في القـول، وأبلغَ في العذر. ولو قلتم مكان لعنكم إياهـم وبراءتكم منهم: أللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلـح ذاتَ بيننـا وبينهم، واهدهم من ضلالتهـم، حتى يعرف الحقَّ منهم من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به، كان هذا أحبَّ إليَّ وخيراً لكم».

فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك.

وقال عمـرو بن الحمق: إنـى والله يا أمير المؤمنيـن ما أجبتُك ولا بايعتُـك على قرابة بينى وبينـك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا التماس سـلطان يرفع ذكري بـه، ولكن أجبتُك لخصال خمـس: أنك ابن عم رسـول الله ﷺ وأول من آمن به، وزوج سيدة نسـاء الأمّة فاطمة بنت محمد ﷺ وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسـول الله ﷺ وأعظم رجل من المهاجرين سـهماً في الجهاد. فلو أني كلفت نقل الجبال الرواسي، ونـزح البحـور الطوامي حتى يأتي على يومي في أمـر أقوى به وليّك وأوهـن به عدوك، ما رأيت أني قد أديتُ فيه كلَّ الذي يحقّ عليَّ من

حقّك!

فقــال أمير المؤمنين عليٌ عليه السلام: أللهم نــوّر قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك.

فقــال حُجر: «إذاً والله يا أمير المؤمنيــن صحّ جندك، وقل فيهم من يغشك. يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها، الذين نلقحها وننتجها، قد ضارســتنا وضارسناها، ولنا أعوان ذوو صلاح، وعشــيرة ذات عدد، ورأي مجرب وبأس محمود، وأزمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شــرقنا، وإن غربت غربنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه».

فقال عليٌ: «أكل قومك يــرى مثل رأيك؟ قــال: ما رأيتُ منهم إلا حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة، وبحســن الإجابــة. فقال له عليٌ خيراً».

***وفي معركة النهروان:**

وفي معركة النهروان «كان من الذين جمعوا الناس لقتال الخوارج في النهروان» كما ذكر الكامل في التاريخ.. وكان مقاتــلاً وأميــراً، أو قائداً على ميسرة الإمام علي عليه السلام

يومها، كما ذكر في الاستيعاب.[٦]

* وهكذا كان مشاركاً في بعض ما أرسل الإمام عليه السلام من سرايا، فقد سرّحه في أربعة آلاف ليلحقوا الضحّاك بتدمر، الذي وجهه معاوية ليُغير على كل من هو في طاعة عليٍّ من الأعراب.. فأجبر الضحاك وأصحابه على الهرب بعد أن قتل من جنده عدداً..

* وفي أواخر حياة الإمام عليه السلام، كانت غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار من قبل معاوية، وقد تقاعس الناس وتكاسلوا عن الاستجابة للإمام عليه السلام، والتهيؤ لمحاربة معاوية، فيما قام حجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمداني فقالا: «لايسوؤك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتبعه، فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت، ولا على عشائرنا إن قتلت في طاعتك، فقال: تجهزوا للمسير إلى عدونا».

وهناك العديد من مواقفه التي ذكرتها مصادر التاريخ.

* وكان فيمن حضر في بيت الإمام عليٍّ عليه السلام، حين أصيب بسيف ابن ملجم، ويسمع كلماته ومواعظه، قال محمد بن الحنيفة: بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي، وقد نزل السم إلى قدميه، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه، ويخبرنا بأمره إلى طلوع الفجر، فلما أصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم بالدخول، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلمون عليه وهو يردّ عليهم السلام، ثم يقول: «أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم!! فبكى الناس بكاءاً شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه، فقام إليه حجر بن عدي وقال:

فيا أسفى على المولى التقي ... أبو الأطهار حيدرة الزكي

٦. الكامل ٣ : ٣٤٠؛ الاستيعاب ١ : ٣٥٦.

قتلـه كافـر حنـث زنيـم لعيـن فاسـق نغـل شـقي
فيلعـن ربنـا من حـاد عنكم ويبـرأ منكـم لعنـاً وبـي
لأنكـم بيـوم الحشـر ذخري وأنتـم عتـرة الهـادي النبي

فلما بصر الإمامُ وسمع شعره، قال له: «كيف بك إذا دعيت إلى البراءة مني؟ فما عساك أن تقول»؟

فقال: «والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسـيف إرباً إرباً، وأضرم لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك»!!

فقال عليه السـلام: «وفقت لكلِّ خير يـا حجر، جزاك الله عن أهل بيت نبيك».

* موقفه مع الإمام الحسن عليه السلام:

موقفه مع الإمام الحسن عليه السلام، وقد تمثّل بذاك الولاء الذي كانت تتسم به علاقته بالإمام علي عليه السلام، إلا أنّ بعضهم نسب إليه أمراً فيه من الغرابة، وهو قوله للإمام الحسن بعد صلحه مع معاوية: «لوددت أنك مت قبل هذا اليوم ومتنا معك، ولم يكن ما كان راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا».

جاء هذا فيما ذكره المدائني (ت ٢٢٥ هـ): أنه لما كان من صلح الحسن عليه السلام لمعاوية ماكان دخل عبيدة بن عمرو الكندي، وهو من قوم حجر بن عدي، على الحسن عليه السلام، وكان على وجهه ضربة أصابته وهو مع قيس بن سعد بن عبادة، فقال الحسن عليه السلام: ما الذي أرى بوجهك؟ فقال: جرح أصابني مع قيس. فالتفت حجر إلى الحسن عليه السلام، فقال: لوددت أنك مت قبل هذا اليوم ومتنا معك، ولم يكن ما كان راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا، فتغير وجه الحسن عليه السلام، وغمز الحسين عليه السلام حجراً فسكت. فقال الحسن: «ياحجر! ليس كل الناس يحب ما تحب ولا رأيه رأيك، وما فعلت ما فعلت إلا إبقاء عليكم، والله كل يوم في شأن».

أقول:

إنّ بعض الروايات والأخبار التي تحكي قضايا تاريخية أو مواقف لأشخاص، لا بدَّ قبل الأخذ بها وتصديقها حتى وإن صحَّ سندها، من عرضها على المسلمات التاريخية، سواء أكانت حوادث أو مواقف عرفت بها شخصيات تسالم الجميع على سلامة دينها ووعيها، وصحة سلوكها وأدبها، وطيب سيرتها، وهو ما يصدق على حجر بن عدي، الذي كان يتمتع بولاءٍ عجيبٍ و واعٍ للإمام علي ولأهل البيت عليهم السلام، ولا أظن أن يصدر منه سوء أدب كما سماه السيد الأمين

في تعليقته على هذه الحادثة: «ولا شك أنّ هذا الكلام فيه سوء أدب من حجرمع الحسن عليه السلام، ولكنه دعاه إليه شدة الحبّ وزيادة الغيظ مما كان».[٧]

ولطالما تعرضت مثل هذه الشخصيات المخلصة من قبل أعدائها للإيقاع بها، وتسقيطها، وليس غريباً على الأنظمة الجائرة، ومنها دولة بني أمية، ووسائل إعلامها، التي كلّ همّها تشويه معالم كبيرة ومخلصة، راحت تشكل أعمدة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. وحتى لو فرضنا عدم كون هذه القصة منحولةً، وفرضنا صحة سندها بل وحدوثها، فليس فيها ما يضرُّ ولاءه وصحة اعتقاده بأهل البيت عليهم السلام، وقد بذل من أجل معتقده هذا نفسه وحياته وابنه ودون أن يلفظ كلمة واحدة تسيء إلى تمسكه بمنهج الإمام علي عليه السلام، وتريح الظالمين وأعوانهم. بل تدل القصة المذكورة على ألمه من معاوية وحزبه ومما آلت إليه الأمور التي بدورها دفعت الإمام الحسن عليه السلام للصلح..

وقد علق التستري: «ولعله لفرط أسفه من تسلط معاوية لم يفهم ماقال».[٨]

ومما جاء فيه:

«لقد كان حُجرٌ ـ والقول للذهبي ـ شريفاً، أميراً مطاعاً، أمّاراً بالمعروف، مقدماً على الإنكار، من شيعة عليٍّ رضي الله عنهما، شهد صفين أميراً، وكان ذا صلاح وتعبد».

و وصفه صاحب المستدرك بأنه راهب صحابة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وكان بطلاً شجاعاً حارب في الجيش الذي فتح الشام، والجيش الذي فتح القادسية، وشهد مع الإمام عليٍّ عليه السلام الجمل وصفين والنهروان.. و حكي عن ابن كثير أنّ حجراً كان شجاعاً تقيّاً، ظهرت

---

٧ . أعيان الشيعة ٤ : ٥٧٤؛ والدرجات الرفيعة : ٤٢٥.

٨ . قاموس الرجال، للشيخ محمدتقي التستري قدس سره ٣ : ١٣١.

له كرامات في حروبه و شهادته، فيما وصفه الطبري و ابن الأعثم بأنه كان فارساً في فتح العراق و إيران و الشام!

و ساق ابن عساكر بأسانيده إلى حجر يذكر طرفاً صالحاً من روايته عن عليعليه السلام وغيره، وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة، وذكر له وفادة، ثم ذكره في الأول من تابعي أهل الكوفة. قال: وكان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير عليعليه السلام شيئاً.

قال ابن عساكر: بل قد روى عن عمار وشراحيل بن مرة. وقال أبو أحمد العسكري:... وكان مع عليعليه السلام حجر الخير، وهو حجر بن عدي هذا ـ وحجر الشرف ـ وهو حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة. وقال المرزباني: قد روي أنّ حجر بن عدي وفد إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله مع أخيه هانئ بن عدي، وكان هذا الرجل من عبّاد الناس وزهّادهم، وكان باراً بأمّه،حتى ذكر أنه يلمس فراش أمّه بيده، فيتّهم غلظ يده، فينقلب على ظهره، فإذا أمن أن يكون عليه شيءٌ أضجعها. وكان عابداً كثير الصلاة والصيام. قال أبو معشر: ما أحدث قط إلا توضأ، ولا توضأ إلا صلّى ركعتين.[٩]

عند علماء الرجال وغيرهم:

فإضافةً إلى ما ذكرناه ، هذه أقوال عديدة أخرى صدرت في مدحه والثناء عليه:

فقد قال عنه الشيخ الطوسي في رجاله: من أصحاب عليعليه السلام حجر بن عدي، كان من الأبدال.[١٠]

وقال عنه ابن داود الحلي: حجر بن عدي، من عظماء أصحابه ـ أي

---

٩ . أنظر البداية والنهاية، لابن كثير، فيمن توفي سنة ٥١ ؛ ومختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٦ : ٢٣٦.

١٠ . رجال الشيخ الطوسي : ٣٨.

الإمام علي عليه السلام ـ .[١١]

وقال عنه العلامة الحلي في رجاله: إنه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من الأبدال.[١٢]

وفي الدرجات الرفيعة: وهو يعد من الرؤساء والزهاد، ومحبته وإخلاصه لأمير المؤمنين عليه السلام أشهر من أن يذكر.[١٣]

وفي الوجيزة: وابن عدي الكندي من الشهداء السعداء.[١٤]

وقد ذكر السيد الخوئي في معجمه تحت رقم ٢٦١٤ : أنّ حجر بن عدي الكندي في رجال الشيخ كان من الأبدال من أصحاب علي عليه السلام. وعدّه من أصحاب الحسن عليه السلام، فيما عدّه البرقي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن. وعدّه الفضل بن شاذان من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهّادهم، وتقدّم في جندب بن زهير قاتل الساحر: (٢٣٩٦: جندب بن زهير: قال الكشّي في ذيل ترجمة صعصعة بن صوحان (١٩): قال الفضل بن شاذان: ومن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهّادهم جندب بن زهير قاتل الساحر، وعبدالله بن بديلة، وحجر بن عدي، وسليمان بن طرد، والمسيّب بن نجبة، وعلقمة، والأشتر، وسعد بن قيس، وأشباههم أنفاهم الحرب، ثم كثروا بعد حتى قتلوا مع الحسين عليه السلام وبعده).

وقال الكشّي: حجر بن عدي الكندي. يعقوب قال: حدّثنا إبن عيينة قال: حدّثنا طاووس عن أبيه قال: أنبأنا حجر بن عدي قال: قال لي علي عليه السلام: «كيف تصنع إذا ضربت وأمرت بلعنتي؟! قلت له: كيف أصنع؟ قال: العني ولا تبرأ منّي فإنّي على دين الله».

---

١١ . كتاب الرجال : ٧٠.

١٢ . رجال العلامة الحلي : ٥٩.

١٣ . الدرجات الرفيعة : ٤٢٣.

١٤ . الوجيزة : ٢٩.

قال: ولقد ضربه محمد بن يوسف وأمره أن يلعن علياً! وأقامه على باب مسجد صنعاء قال: فقال: إنّ الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، فرأيت مجوازاً من الناس إلاّ رجلاً فهمها وسلّم.

وذكر في ترجمة عمرو بن الحمق أيضاً ما يدلّ على جلالته وعظمته، إلاّ أنّ في سند الروايتين ضعفاً. وذكر أرباب التراجم والتواريخ أنّ معاوية بن أبي سفيان لعنه الله قتله سنة ٥١، أو٥٣، لولائه علياً عليه السلام.[١٥]

وهناك في رجال الحديث شخص سمّيه، يحمل عين اسمه ولقبه، وهو من الكوفة أيضاً، لكنه من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وهو حجر بن عدي الكندي الكوفي، رجال الشيخ (٢٤٦). وهو غير سابقه الذي قتله معاوية.[١٦]

وقال عنه الشيخ التستري في قاموس الرجال: وبالجملة جلاله لا يحتاج إلى برهان.[١٧]

ولخص الشيخ الأميني رحمه الله أقوالاً جاءت فيه: «حجر بن عدي من عدول الصحابة، أو أحد الصحابة العدول، راهب أصحاب محمد صلى الله عليه وآله كما قاله الحاكم. من أفاضل الصحابة وكبارهم مع صغرسنه، مستجاب الدعوة، كما في الاستيعاب. وكان ثقة معروفاً كما قال ابن سعد. وقال المرزباني: إنه وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان من عبّاد الله وزهّادهم، وكان باراً بأمّه، وكان كثير الصلاة والصيام. وقال أبو معشر: كان عابداً وما أحدث إلا توضأ، وماتوضأ إلا صلّى. وكان له صحبة ووفادة وجهاد وعبادة كما في الشذرات، وكان صاحب كرامة واستجابة دعاء مع التسليم إلى الله».[١٨]

---

١٥ . أنظر معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي ٥ : رقم ٢٦١٤.

١٦ . المصدر نفسه، ٥ : رقم ٢٦١٥.

١٧ . قاموس الرجال ٣ : ١٣١.

١٨ . الغدير ١١ : ٥٣.

وقد حدّث:

جاء في طبقات ابن سعد: وكان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير علي شيئاً.[١٩]

ولكني وجدت أنه روى عن غير الإمام عليٍّ عليه السلام، وهذه نماذج مما نسب إليه من روايات:

حجر بن عدي قال: سمعت شراحيل بن مرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أبشر ياعلي حياتك وموتك معي».

وقال حجر بن عدي: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «الوضوء نصف الإيمان. وفي رواية: «الطهور نصف الإيمان».

وعن مخشي بن حجر بن عدي، عن أبيه أنّ نبي الله ﷺ خطبهم فقال: «أي يوم هذا»؟

فقالوا: يوم حرام.

قال: «فأي بلد هذا»؟

قالوا: بلد حرام.

قال: «فأي شهرهذا»؟

قالوا: شهر حرام.

قال: «فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا، كحرمة بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب، لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».[٢٠]

قصة استشهاده رضوان الله عليه:

«سيقتل بعذراء ناسٌ يغضبُ اللهُ لهم وأهلُ السماء».

ظلّ هذا العبد الصالح تحت الرقابة من قبل معاوية، الذي ما

---

١٩ . الطبقات ٦ : ٢٢٠.

٢٠ . تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٥ ؛ الطبقات ٦ : ٢٢٠ ؛ المستدرك، للحاكم ٣ : ٤٧٠.

انفكّ يطالب واليُهُ على الكوفة، بملاحقة حُجرٍ ومن هو من شيعة عليٍّ عليه السلام، والتضييق عليهم، وحتى إكراههم للحضور في محافلهم وصلواتهم...

فبعد أن استعمل معاوية المغيرة بن شعبة أميراً على الكوفة سنة إحدى وأربعين، قال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة: لاتترك شتم عليٍّ وذمّه، والترحم على عثمان، والعيب لأصحاب عليٍّ، والإقصاء لهم، والإطراء بشيعة عثمان، والإدناء لهم. فأخذ المغيرة يشتم علياً.. فإذا سمع ذلك حجر بن عدي قال: «بل إياكم ذمَّ اللهُ ولعنَ. أنا أشهد أنَّ من تذمون أحقُّ بالفضل، وأنَّ من تزكّون وتطرون أولى بالذمِّ».

ويقول له المغيرة: ..يا حُجر ويحك! اتقِ السلطان، اتقِ غضبه وسطوته، فإنَّ غضبة السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً... ثمَّ حبس المغيرة أرزاقَ حجرٍ وأصحابه.

فكان حجر يناديه بقوله: «أيّها الإنسانُ مُر لنا بأرزاقنا، فقد حبستها عنا، وليس ذلك لك.. وقد أصبحت مولعاً بذمِّ أمير المؤمنين، وتقريظ المجرمين».

ثم توفي المغيرة وولي زياد بن أبيه.. فاستمر حُجرٌ على الفعل نفسه، ولم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهره بالدفاع عن سيرة الإمام عليٍّ عليه السلام.. وفي صلاة يوم الجمعة ـ التي كان والي الكوفة بأمرمعاوية يكره حُجراً وأتباع عليٍّ عليه السلام لحضورها ـ أطال زياد بن أبي سفيان الخطبة وأخّر الصلاة، فكان حجرٌ يقول: الصلاة! فمضى زياد في خطبته، ثم قال: الصلاة! فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كفٍّ، وثار إلى الصلاة وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد، نزل فصلى بالناس، فلما فرغ من

صلاته، كتب إلى معاوية في أمره وكثّر عليه. فكتب معاوية إليه أن شدّه في الحديد، ثم احمله إليّ...

وبسبب مواقفه هذه وأمثالها، وولائه للإمام عليّ عليه السلام، ودفاعه الثابت عن الولاية الحقّة، وبشهادة زورٍ كبرى، وفرية ظالمة، لفّقت ضدّه من قبل زياد بن أبي سفيان والي الكوفة، حين جمع من أصحاب عدي اثني عشر رجلاً في السجن وأحضر شهوداً ليشهدوا على ما كتبه؛ أنّ حُجراً (... خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكَفَرَ بالله عزّ وجلّ كفرةً صلعاء)؛ فشهد جمع كبير.

وفي خبرٍ أنهم سبعون رجلاً، وسجلت أسماءُ آخرين دون

أن يشـــهدوا، وحتى أســـماء بعض من رفضوا أن يشـــهدوا كشريح بن هاني...

شهادة الزور الكبرى:

ويروي لنا الطبري في أحداث سنة إحدى وخمسين قصة شهادة الزور الكبرى التي لفّقها والي الكوفة يومذاك زياد بن أبيه وأعوانه على هـــذا الصحابي الجليل حجر بن عدي وعدد ممن معه من المســـلمين، فيضعها دليل إدانة لهم بين يدي معاوية بن أبي سفيان:

«هذا ما شـــهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله ربّ العالمين شهد أنّ حجـــر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعـــة. وجمع إليه الجموع يدعوهـــم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عزّ وجلّ كفرة صلعاء».

فقال زياد: على مثل هذه الشـــهادة فاشهدوا، أما والله لأجدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق.

فشهد رؤوس الأرباع على مثل شهادته، وكانوا أربعة.

ثم إنّ زياداً دعا الناس، فقال: اشـــهدوا على مثل شـــهادة رؤوس الأرباع.

فقـــرأ عليهم الكتابَ، فقال أول الناس عناق بن ســـرجيل بن أبي دهم التيمي.

فقال زياد: ابدأوا بأسامي قريش، ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود، ومن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين.

فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله، وموسى بن طلحة، وإسماعيل بـــن طلحة، والمنـــذر بن الزبير، وعمارة بن عقبة بـــن أبي معيط، وعبد الرحمن بن هناد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وعامر بن مسعود بن

أميـة، ومحـرز بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شـمس، وعبيد الله بن مسـلم بن شعبة الحضرمي، وعناق بن شرجيل بن أبي دهم، ووائل بن حجر الحضرمي، وكثير بن شـهاب بن حصين الحارثي، وقطن بن عبد الله بن حصين، والسرى بن وقاص الحارثي.

وكتبت شهادته وهو غائب في عمله ـ والسائب بن الأقرع الثقفي، وشـبث بن ربعـي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفـي، ومصقلة بن هبيرة الشـيباني، والقعقاع بن شور الدهلي، وشداد بن المنذر بن الحارث بن وغلـة الذهلي، وحجار بن أبجر العجلي، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ولبيد بن عطارد التميمي، ومحمد بن عمير بن عطارد التميمي، وسويد بن عبد الرحمن التميمي، وأسـماء بن خارجة القزاري، وشمر بن ذى الجوشـن العامري، وشـداد ومروان ابنا الهيثـم الهلاليان، ومحصن بن ثعلبة بن عائذة القرشي، والهيتم بن الأسود النخعي ـ وكان يعتذر إليهم ـ وعبد الرحمن بن قيس الأسـدي، والحارث وشداد وهما ابنا الأزمع الهمدانيان، وكريب بن سـلمة بن يزيد الجعفي، وعبد الرحمن بن أبي سـبرة الجعفي، وزحر بن قيس الجعفـي، وقدامة بن العجلان الأزدي، وعزرة بن عزة الأحمس. وكتبت شـهادة هؤلاء الشهود في صحيفة، ثم دفعهـا زياد إلى وائل بن حجر الحضرمي، وكثير بن شـهاب الحارثي، وبعثهما عليهم، وأمرهما أن يخرجا بهم. وكتب في الشـهود شريح بن الحارث القاضي، وشريح بن هاني الحارثي.

فأما شريح القاضي فقال:

سـألني عن حجر فأخبرته أنه كان صواماً قواماً. وأما شـريح بن هاني الحارثي فكان يقول: ما شهدت ولقد بلغني أن قد كتبت شهادتي فأكذبته ولمته.. فمضوا بهم حتى انتهوا إلى الغريين، فلحقهم شريح بن هانـي معه كتاب. فقال لكثير: بلغ كتابي هذا أمير المؤمنين. ودفع وائل

بن حجر كتاب شـريح بـن هاني، فقرأه فإذا به: «أمـا بعد، فإنه بلغني أنّ زياداً كتب إليك بشـهادتي على حجر بن عدي، وأنّ شهادتي على حجر أنه ممن يقيـم الصلاة ويؤتى الزكاة ويديم الحجّ والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال».

وسيّرهم إلى الشام، فخرجوا عشـيةً، فلما بلغوا الغريين، لحقهم شـريح بن هاني، وأعطى وائلاً كتاباً، فقال: أبلغه أمير المؤمنين، فأخذه وساروا حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء عند دمشق، وكانوا أربعة عشر رجلاً. ودفع وائل إلى معاوية كتاب شـريح بن هاني، فإذا فيه: «بلغني أنّ زياداً كتب شـهادتي، وأنّ شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتـي الـزكاة، ويديم الحجّ والعمـرة، ويأمر بالمعـروف وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال».

وراحت ابنتُه التي لا عقب له من غيرها، تنشـدُ أباها شعراً حين صار على أميال من الكوفة يُراد به دمشق، وقد نسبت هذه الأبيات لأخته الكندية، أو لهند الأنصارية وهي من شيعة الإمام عليٍّ عليه السلام، وفي بعض مفرداتها اختلاف غير مخلٍّ:

ترفَـع أيّهـا القمـر المنير ... لعلّك أن ترى حُجر يسيرُ

يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتلـه، كذا زعـم الأميرُ

ويصلبه على بابي دمشـق ... وتأكل من محاسنه النسورُ

تجبرت الجبابرُ بعد حجـر ... وطاب لها الخورنقُ والسديرُ

وأصبحتِ البلادُ لها مُحولاً ... كأن لم يُحيهـا مُزنٌ مُطيرُ

ألا يا حُجر حجر بن عـدي ... تلقّتك السلامةُ والسـرورُ

أخافُ عليك ما أردى عديّاً ... وشيخاً في دمشقَ له زئيرُ
يـرى قتل الخيار عليه حقّاً ... له مـن شـرُّ أمتـه وزيرُ
ألا يا ليتَ حُجراً مات موتاً ... ولم يُنحر كما نُحر البعـيرُ
فإن تهلك فكلُّ عميد قومٍ ... من الدنيا إلى هُلكٍ بصـيرُ

لقـد كانت النتيجة جريمة قذرة، هدفها تصفية أتباع الإمام عليٍّ عليه السـلام، فختمت حياته رضوان الله عليه ضحيّة من ضحايا الغدر الأموي، وبأن يكون أوّل من قتل صبراً في الإسلام في مأساة دموية، ملئية بالبشاعة، ارتكبها إرهاب الدولة الأموية بأيدي جلاوزتها، وفي سـاحة القتل، حدث ما يؤلم القلوب ويدميها، فبعد أن وصل كتاب الشـهادة المزورة إلى معاوية، قال: لا أحبّ أن أراهم هاتوا كتاب زياد، فقرئ عليه، فقال معاوية: اقتلوهم عنـد عذراء. فقال حجر: ما هذه القرية؟ قالوا: عذراء، قال: «الحمد لله، أما والله إني لأول مسلم نبح كلابها في سبيل الله، ثم آتي إليها اليوم مصفوداً».

لقـد أحضروا مصفودين ودفع كل رجل منهم إلى رجل ليقتله، وقيل ـ كمـا ذكـر الذهبي ـ إنّ رسـول معاوية عرض عليهم الـبراءة من رجل والتوبة...

وإن تغافل الذهبي عن ذكر اسم هذا الرجل، واكتفى بالقيل لتضعيف الخبر كما يبدو، فإنّ حجر بن عدي في ساعته هذه، لم ينسَ سيده عليّاً عليه السلام وكلمتـه له: «كيف بك إذا دعيتَ إلى البراءة مني؟! فيجيبه: والله يا أمير المؤمنيـن لو قطعت بالسـيف إرباً إرباً، وأضرم لي النـار وألقيت فيها لآثـرت ذلك على البراءة منـك!! فيقول له الإمام: وفقـت لكلّ خير يا حجر، جزاك الله عن أهل بيت نبيك».

فـراح كلٌ منهما يفي بوعده للآخر، فما أجملها من عاقبة إن هي

إلا لحظات فيحتضنه عليٌّ، ويتولى رعايته ويضفي عليه شفاعته!

ومما قاله حُجر: يا قوم، دعوني أصلي ركعتين فتركوه فتوضأ، وصلى ركعتين خفّفَ فيهما، ثم قال: لولا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه، لأحببتُ أن تكونا أطوَلَ مما كانتا، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خيرٌ فما في هاتين خير، وفي رواية: فطوّل فقيل له: طوّلت، أجزعت؟ فقال: ما صليت صلاة أخفَّ منها، ولئن جزعت لقد رأيت سيفاً مشهوراً، وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً. وقال أيضاً لمن حضره من أهلها و قومه: «لا تطلقوا عني حديداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ألاقي معاوية غداً على الجادّة، أو فإني أجتمع أنا ومعاوية غداً على المحجة... ادفنوني في ثيابي فإني أبعث مخاصماً. وقال لقاتله: إن كنت أمرت بقتل ولدي، فقدمه فاضرب عنقه. فقيل: تعجّلت الثكل! فقال: خفتُ أن يرى هولَ السيف على عنقي، فيرجع عن ولاية عليٍّ عليه السلام، فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدها الله الصابرين»!

وقال حجرٌ: «أللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإنّ أهل العراق شهدوا علينا، وإنّ أهل الشام قتلونا»!

فقيل له: مدَّ عنقك. فقال: إن ذاك لدم ما كنت لأعين عليه.. ثمَّ قُدم فضربت عنقه رضوان الله عليه!

وأيضاً في مختصر تاريخ دمشق: وقدم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على معاوية برسالة عن عائشة، بعد أن بلغها عزم معاوية على قتل حجر بن عدي، تسأله فيها أن يخلي سبيله وأصحابه... ولما قتلوا، قال عبد الرحمن بن الحارث: ياأمير المؤمنين، أين غرب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: غيبة مثلك عني من قومي.[٢١]

---

٢١ . أنظر المختصر، لابن منظور ٦ : ٢٣٩، وفيه تفصيل يتضمن أخباراً عديدة لمعارضة حجر لزياد والي الكوفة من قبل معاوية.

وذكر أبو مخنف في الطبري عن الحسن أنه قال: أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنَّ إلا واحدة لكانت مُوبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزَّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحَجَرُ». وقتله حُجراً.

ويا له من حُجرٍ! مرتين! ومما ذكره الذهبي: «أنَّ ابن هشام قدم برسالة عائشة تسأله أن يخلي سبيلهم، وقد قتلوا، فقال: يا أمير المؤمنين أين عزب عنك حلمُ أبي سفيان؟! قال: غيبة مثلك عني، يعني أنه ندم».

وقيل: لما حجَّ معاوية، استأذن على عائشة، فقالت: أقتلت حجراً؟! قال: وجدت في قتله صلاح الناس، وخفت من فسادهم. وعن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة، فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء، حجر وأصحابه؟! فقال: يا أمَّ المؤمنين، إني رأيتُ قتلهم صلاحاً للأمة، وبقاءهم فساداً للأمة! فقالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «سيُقتل بعذراء ناسٌ يغضبُ اللهُ لهم وأهلُ السماء».

ولما بلغ عبد الله بن عمر قتل حجر وهو في السوق أطلق حبوته، قام وقد غلب عليه النحيب.[٢٢]

---

٢٢ . مختصر تاريخ دمشق ٦ : ٢٤١، وتاريخها لابن عساكر ١٢ : ٢٢٦ في ترجمة حجر بن عدي الأدبر؛ والاستيعاب ١ : ٣٣٠ في ترجمة حجر بن عدي؛ وإعلام الورى : ٤٣؛ الإصابة ١ : ٣١٥؛ الدرجات الرفيعة : ٤٩؛ وانظر غير هذا من المصادر: أنساب الأشراف ٥: ٢٧٤ في أمر حجر بن عدي الكندي ومقتله؛ الجامع الصغير ٢: ٦١ حديث: ٤٧٦٥؛ البداية والنهاية ٦: ٢٢٦ ما روي في إخباره عن مقتل حجر بن عدي وأصحابه، ٨: ٥٥ في أحداث سنة إحدى وخمسين: مقتل حجر بن عدي؛ كنز العمال ١١: ١٢٦حديث: ٣٠٨٨٧، ١٣: ٥٨٧ حديث: ٣٧٥٠٩، : ٥٨٨ حديث: ٣٧٥١٠؛ تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣١ في أيام معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة الحسن عليه السلام؛

كلُّ هــذا وغيره يدل على عظيم منزلــة هذا الصحابي وفضله، وكان ما وقع هو عين ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء».

وما روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود».

أو كما جاء فــي مختصر ابن منظور، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «يا أهل الكوفة، ســيقتل منكم ســبعة نفر خياركــم، مثلهم كمثل أصحــاب الأخــدود، منهم حجر بــن الأدبر وأصحابــه، قتلهم معاوية

---

النصائح الكافية: ٨٣؛ فيض القدير ٤ : ١٢٦؛ ومثله في الإصابة ٢: ٣٨ في ترجمة حجر بن عدي؛ وأيضاً كتاب الإمام الحســين، لعبدالله العلايلي، الحلقة الثالثة، في وجه الظلم : ٤٩٢ ـ ٥٠٠ فقد ذكر موقف الإمام الحسين من هذه الجريمة وكتابه إلى معاوية.

بالعذراء من دمشق كلهم من أهل الكوفة».

وقد لا تكون الجملتان الأخيرتان: (منهم ... الكوفة) من حديث الإمام عليه السلام، بل هما بيان لما وقع في عذراء.

وروي في مختصر ابن منظور أنّ الحسن بن علي عليه السلام أتاه ناس من أهل الكوفة من السبعة، (الذين نجوا من المقتلة) فشكوا إليه ما صنع زياد بحجر وأصحابه، وجعلوا يبكون عنده، وقالوا: نسأل الله أن يجعل قتله بأيدينا. فقال: «مه إنّ في القتل كفارات، ولكن نسأل الله أن يميته على فراشه».

ففي مختصر تاريخ دمشق ٤ : ٢٣٩ في ترجمة أرقم بن عبد الله الكندي رقم ٢٢٩. وكان الأرقم هذا واحداً ممن نجوا ممن بعث بهم زياد إلى معاوية لقتلهم مع حجر، وهم كريم بن عفيف الخثعمي، وعبد الله بن حوية التميمي، وعاصم بن عوف البجلي، وورقاء بن سمى البجلي، والأرقم بن عبد الله الكندي، وعتبة بن الأخنس، من بني سعيد بن بكر، وسعيد بن نمران الهمداني فهم سبعة.

أمّا من قتل، فهم:

حجر بن عدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي ثم المنقري، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمن بن حسان العنزي؛ فبعث به إلى زياد فدفن حياً بقس الناطف، فهم سبعة قتلوا وكفنوا وصلي عليهم.

وعن الحسن أنه لما بلغه قتل حجر وأصحابه، قال: صلّوا عليهم وكفّنوهم، واستقبلوا بهم القبلة؟

قالوا: نعم؛ قال: حجّوهم وربِّ الكعبة.[٢٣]

ولات حين مندم!

لقد أبيت يا معاوية، إلا أن تحمّل نفسك ما يُشينها ويُدنسها، وكلّ ما يغلق بوجهها أبــواب الجنة، ويفتح لها أبواب النار، فقد دخل ـ كما في الخبر ـ عبد الله بن يزيد بن أسد على معاوية وهو في مرضه الذي مــات فيه، فرأى منه جزعاً، فقال: ما يجزعك يا أمير المؤمنين إن مت؟ قال: الجنة. وإن عشــتَ، فقد علم الله حاجة الناس إليك. قال: رحم الله أباك إن كان لناصحاً، نهاني عن قتل ابن الأدبر يعني حجراً، ثم عاد عبد الله بن يزيد، فعاد معاوية مثل ذلك القول.

وعن ســفيان الثوري قال معاوية: ما قتلت أحداً إلا وأنا أعلم فيم قتلتــه، وما أردت به، إلا حجر بن عدي، فإني لا أعرف فيم قتلته. وفي خبر آخر أنّ معاوية لما حجّ، دخل على عائشــة، فقالت له: يا معاوية، قتلت حجر بن الأدبر! قال: أقتُلُ حجراً، أحب إلي من أن أقتل معه مئة ألف.

وفي حديث غيره: أنه اســتأذن عليها فأبت أن تأذن له، فلم يزل حتى أذنت له، فلما دخل عليها، قالت: أنت الذي قتلت حجراً! قال: لم يكن عندي أحد ينهاني.

وأحسن ما قاله معاوية:

هــو ما رواه إبن جرير حين ذكر أنّ معاوية جعل يغرغر بالموت وهو يقول: إنّ يومي بك يا حجر بن عدي لطويل، قالها ثلاثاً.

و قوله لأم المؤمنين عائشة: «... فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند

---

٢٣ . تاريخ الطبري ٥: أحداث سنة ٥١.

ربنا عزّوجلّ»![٢٤]

حقّاً هناك: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.[٢٥]

يوقفك الله تعالى مع الذين: ﴿فنادوا ولات حين مناص﴾، حين تنتظرهم تلك الظلمات كما في قول رسول الله ﷺ: «إياكم والظلم، فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة».

وعندها ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

وكان قتلهم رضوان الله عليهم في سنة إحدى وخمسين ومشهدهم ظاهر بعذراء يُزار، وكان حقّاً ما قاله حجر بن عدي، فهو الذي قام بفتح عذراء: إني لأول فارس من المسلمين هلل في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها.[٢٦]

بل يظهر من قول الطبقات بأنه هو الذي افتتح مرج عذراء وأنه كان قائداً لإحدى الفرق، ولم يكن مقاتلاً عادياً، وهذا ما يتناسب ومكانته. وقد ذكر في مروج الذهب وغيره عن حجر: «وهو أول من قتل صبراً في الإسلام». وكان قتله أول ذلّ دخل على أهل الكوفة كما ورد.

وخلف حجرٌ ولدين: عبيد الله، وعبد الرحمن، قتلهما مصعب بن الزبير الأمير، وكانا يتشيعان «كما يذكر الذهبي في سيره». ولهذه القصة تفصيل طويل في أحداث سنة ٥١ تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير.

إذن فقد قتل حجرٌ بن عدي مع تسعة نفر من أصحابه من أهل

---

٢٤ . أنظر البداية والنهاية، لابن كثير ١١، سنة ٥١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٦ : ٢٤٢.

٢٥ . غافر: ٥٢.

٢٦ . أنظر ابن عساكر ويعقوب بن سفيان (كنز العمال ١ : ١٢٦)؛ ابن كثير، في البداية والنهاية ٨ : ٥٥؛ الكامل ٣ : ٢٤١؛ أسد الغابة ١ : ٤١٢؛ الطبري ٤ : ٢٠٥.

الكوفة وأربعة من غيرها في مرج عذراء بصورة بشعة يندى لها الجبين، وهكذا انتهت هذه المأساة، على ما يقول الدكتور طه حسين في الفتنة الكبرى: «هذه المأساة المنكرة التي استباح فيها أمير من أمراء المسلمين أن يعاقب الناس على معارضة لا إثم فيها، وأن يكره وجوه الناس وأشرافهم على أن يشهدوا عليهم زوراً وبهتاناً، وأن يكتب شهادة القاضي على غير علم منه ولا رضا.. استباح أمير من أمراء المسلمين لنفسه هذا الإثم، واستحل هذه البدع، واستباح إمام من أئمة المسلمين أن يقضى بالموت على نفر من الذين عصم الله دماءهم، دون أن يراهم أو يسمع لهم أو يأذن لهم في الدفاع عن أنفسهم».[٢٧]

وقال أيضاً في فصل ٥١: «كان قتل حجر حدثاً من الأحداث الكبار، ولم يشك أحد من الأخيار الذين عاصروا معاوية في أنه كان صدعاً في الإسلام، بل لم يشك معاوية نفسه في أنه كان كذلك».

ومما جاء في رثائهم:

جماعة بثرى عذراء قد دفنوا ... وهم صحاب لهم فضل وإعظام
حجر قبيصة صيفي شريكهم ... ومحرز ثم همام وكرام
عليهم ألف رضوان ومكرمة ... تترى تدوم عليهم كلما داموا

إن أراد بهم أنهم صحابيون فليس بصواب، إذ ليس فيهم من الصحابة غير حجر.

ومما قاله آخر:

فنعم أخو الإسلام كنتَ وإنني ... لأطمع أن تُؤتى الخلود وتحبرا
وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقَّه ... وتعرف معروفاً وتنكر منكرا

٢٧ . علي وبنوه : ٢٤٣.

وقالت الكندية ترثي حجراً، ويقال: الأنصارية:

دمـوع عينـي ديمـة تقطـر  تبكـي على حجـر ومـا تقتر
لـو كانت القوس على اسـره  ما حمـل السـيف لـه الأعور

فرضوان الله عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأهل بيته، وعلى المستشهَدين معك، وأدخلكم برحمته، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.[٢٨]

٢٨ . النساء : ٦٩.